

مراتب الامتحان الإلهي



«إنَّ اِ تبارك وتعالى يختبر عباده حسب عظم نفوسهم وقابلياتهم، فيؤوهم ما يستحقون من المنازل الدنيوية والأخروية. قال نبينا (ص): "ما أودى نبي مثل ما أوديت". فكان ابتلاؤه أعظم من ابتلاء من سبقه من الأنبياء والمرسلين سلام ا عليهم أجمعين. وأما علي (ع)، فقد امتحن امتحانات تزيد من العدد والاحصاء منها مبيته على فراش النبي (ص) وعرضه نفسه للقتل، ومنها برازه إلى عمرو بن ود الذي كان يعد بألف فارس في غزوة الخندق، وقد قال فيه رسول ا (ص): "برز الإيمان كله إلى الشرك كله"، وقال فيه أيضاً كما رواه الحاكم في المستدرک؛ لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة". وقد روى الحاكم أيضاً ان النبي (ص) قال: "قتل علي لعمرو بن ود أفضل من عبادة الثقليين". وأما الحسين (ع) فقد امتحن بما لم يمتحن به من قبله ولن يمتحن به من بعده. والأئمة كلهم امتحنوا بامتحانات صعبة جدّاً لا يقوى عليها البشر العادي، ولا مجال لذكر ما امتحن به الأنبياء صلوات ا عليهم أجمعين من امتحانات شاقة جدّاً يفر منها غيرهم. وقد جاء في الحديث ان رسول ا (ص) قال: "ان أشد الناس بلاء النبيون، ثم الوصيون ثم الأمثل فالأمثل وانما يتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة، فمن صح دينه وحسن عمله اشتد بلاؤه، ومن سخط دينه وضعف عمله، قل بلاؤه، والبلاء أسرع إلى المؤمن التقى من المطر إلى قرار الأرض، ذلك: ان ا عز وجل لم يجعل الدنيا ثواب المؤمن ولا عقوبة الكافر". والامتحان أو البلاء إما أن يكون لزيادة الدرجات وبلوغ المنازل الرفيعة وهذا خاص بالأنبياء (ص)

والدينية. وليس تكامل النفس بشيء يمكن قياسه بأسئلة إمتحانية تلقى على الطلاب في الإمتحانات النهائية، لأنها أعمال وملكات أكثر منها نظريات وعبارات أدبية. لذلك انحطت الأخلاق الاجتماعية والأخلاقية الإسلامية الموروثة: أغنى الصفات الإنسانية الكاملة التي ورثناها عن آباءنا وأجدادنا فتاب منابها مجاملات صورية لا تتجاوز الحنجرة وحركات الوجه.

يقول ﷻ تبارك وتعالى: (إِنَّ زُجَّجَ عَلَيْهِمْ مَاءً غَالِيًا مِمَّا عَالَى الْأَرْضِ زَيْدَةً لَهُمْ لِيَبْلُغُوا ذَمَّهُمْ أَلَيْسَ لَهُمْ آخِرُ عَمَلٍ) (الكهف/ 7). قد خلق ﷻ جل شأنه من النعم والمآكل والمشارب والملابس والمسكن ما يجذب الإنسان ببهجته وروائه فيطمع الإنسان فيها. ولا تتأتى كلها لكل شخص من مورد حلال طيب. فتغلب الشهوة وينقاد إليها الإنسان، فإذا به يفسد نفسه ويرتكب الظلم والبغي ليتزود من هذه النعم والمآكل ويتزين بأنواع الزينة فيرسب في هذا الاختبار النفسي العسير. ان ﷻ لم يحرم على الناس الاستفادة من نعيم الدنيا وزينتها وزبرجها إذا كان من مورد حلال شرعي واستعمل حسبما عينه الشرع: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي كَرِهَ رِيبِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمُهَا وَاللَّيْغُ فِي بَعْضِهَا كَثِيرٌ وَأَنْ تَضْحَكُوا بِهَا لَكُمْ يَسْتَضْحَكُ بِهَا السُّلُطَانُونَ) (الأعراف/ 31-33). ففي هذه الدنيا يشترك المؤمن مع الكافر في التنعم بالطيبات من الرزق وزينة الدنيا الفانية، أما في الآخرة فيكون ذلك للمؤمنين خالصة خاصة بهم، بمقياس لا يحيط به العقل البشري. فالدنيا بمظاهرها الخلابة وجمالها الفتان وأشجارها ونباتها ومائها وهوائها مواد للامتحان: (كالفيزياء والهندسة المجسمة وعلم الهيئة وحساب الاحتمالات و...)، ولا يقوى على ردع النفس عن الشهوات المحرمة إلا من أوتي يقينا صادقا وتوجهاً خالصاً ولطفاً ربانياً: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) (محمد/ 17). قد يصادف الإنسان في عنفوان شبابه مائدة خمر جلس عليها أصحابه فيلحون عليه بالشرب وهو يمتنع لطهارة أودعها ﷻ تعالى فيه بالفطرة، ثم يلحون عليه ثانية وثالثة والشيطان بالمرصاد، فهنا صراع بين العقل والنفس الأمانة بالسوء أو بالأحرى بين العقل (إن لم يحجب وبقي على فعاليته) وبين الشيطان. فإن غلب الشاب على أمره فقد سقط في هوة سحيقة. وإن تذكر أمر ﷻ واليوم الآخر وعزم على الرفض واستعان بـ ﷻ جل ﷻ وعلا في خلاصه ونجاته فإن ﷻ يهيئ له أسباب النجاة. وإن ارتداعه هذا في هذا الاجتماع الفاسد وكبحه شهوته بعزم رصين يفتحان عليه أبواب رحمة ﷻ فيزداد بفضل هدى وتقوى وصلاحاً. فقد جاء في الحديث: "لو

